المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
عمادة البحث العلمي



مجلة
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

مجلة علمية محكمة

العدد الثامن
رجب ١٤١٣ هـ
يناير ١٩٩٣ م

مجـلة جامعـة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
العدد الثـامـن
رجــب ١٤١٣هـ

تطور العلاقات السياسية والتجارية بين الحبــشة وبلاد النوبة وبين الحجاز في صدر الإسلام

للدكتــــور
غيــثان علي جريـــس
جامعة الملك سعود ـ فرع أبها
كلية التربية ـ قسم التاريخ

إن العـلاقـات السياسية والتجارية بين الحجاز وأى جزء من أجزاء العالم قد تختلف من وقت لآخر، بل ومن مكان لمكان، وذلك لما قد يوجد من ظروف تحيط بتلك العلاقات وبما أن هذا البحث يهتم بفترة صدر الإسلام، فلذا لم يتعرض للعـلاقات التي كانت تربط الحجاز بتلك المناطق التي كانت موضع الاحتكاك العسكرى المباشر خلال عهد الفتوح الإسلامية، كبلاد الفرس أو الروم مثلا، إلا أن البحث يناقش تلك العلاقات السياسية والتجارية التي تربط بين أرض أثيوبيا، أو ما يسمى الحبشة[1]. في أغلب المصادر العربية وبلاد النوبة مع منطقة الحجاز لنرى نوعـية تلك العـلاقات ومدى نشاطـها بين تلك الأطراف وهل كانت العلاقات التي تربط أثيوبيا بالحجـاز مسـاوية للعـلاقات التي تربط بـلاد النوبـة بالحجــاز؟ وبالإجابة عن هذه النقاط نستطيع أن نخرج بصورة واضحة عن تلك العلاقات بين تلك الأجزاء الأفريقية ومنطقة الحجاز الاسيوية.

(أ) ـ العلاقات السياسية بين بلاد الحبشة والحجاز :

إن بلاد الأحباش لم تكن صلتها بمنطقة الحجاز، ولا بشبه الجزيرة العربية وليدة ظهور الدين الإسلامي، وإنما الصلات بين الطرفين قد تعود إلى ما قبل الإسلام بقرون عديدة، وتؤكد المصادر العربية أن أعداداً كبيرة من الأحباش ينحدرون من أصول عربية وعلى شكل هجرات من بلاد العرب، إضافة إلى أن عرب شبه الجزيرة وخصوصاً أهل الحجاز كانوا على صلة وثيقة، تجارية وسياسية مع أرض الحبشة، وقد أورد لنا ابن حبيب رواية حول تلك الصلات، فيذكر أنه حدث في الجاهلية صراع شديد مابين بنى هاشم وبنى أمية من قبيلة قريش، ثم اتفقوا بعد أن طال ذلك

الصراع على الاحتكام إلى أحد ملوك ذلك الزمان فكان اختيارهم أن يذهبوا إلى أرض الحبشة ليحتكموا على أيدى مليكها، فكان أن قام بالإصلاح بينهم بعد أن طلبوا منه أن يحسم الخلاف الدائر بينهم[٢]، وهذا يفسر لنا أن العلاقات بين ملوك الحبشة وأعيان أهل الحجاز من بنى هاشم، كانت على درجة كبيرة من القوة والمتانة، وإلا لما كانت الحبشة أرض وساطة وصلح بين الأطراف المتنازعة في الحجاز، ويلجأ إليها عند الحاجة وساعات المحن.

ولما ظهر الإسلام في الجزيرة العربية، تطورت العلاقات السياسية بين ملوك الحبشة، وبين الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) حيث نرى في الوقت الذي اشتد فيه إيذاء قريش للسابقين إلى الإسلام من صحابة رسول الله، أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) أذن لهم في الهجرة إلى بلاد الحبشة قائلاً **«لو خرجتم إلى أرض الحبشة، فإن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد حتى يجعل الله لكم فرجا مما انتم فيه»**[٣].

لقد أفاضت بعض المصادر في عوامل اختيار الرسول صلى الله عليه وسلم بلاد الحبشة لتكون مهجراً لأصحابه، وأن ملكها لا يظلم عنده أحد، فتروى إلى أن أهم أسباب اختيار الحبشة دون سواها، هى أن ملك الحبشة الذي كان يعاصر الرسول صلى الله عليه وسلم هو أصحمه أو أرماح، وهو الذي خلف أباه بعد وفاته ملكاً على الحبشة رغم صغر سنه، فنازعه عمه الملك وهزمه فلجأ أرماح إلى بلاد العرب حيث اشتراه عربى من قبيلة بنى ضمره[٤]، مكث معه الفتى أرماح فترة في بلاد العرب تعرف خلالها على عادات ولهجات العرب ثم عاد إلى الحبشة بعد أن كبر واستعاد ملك أبيه. لذا وقع اختيار الرسول صلى الله عليه وسلم لتكون أرض هذا الملك الذي عرف بلاد العرب وأهلها موطناً للمسلمين من المهاجرين الأوائل، الذين سيجدون عنده العطف والعناية والرعاية.

ولقد تأكد بالدليل القاطع أن اختيار الرسول صلى الله عليه وسلم لبلاد الحبشة كان اختياراً سليماً وموفقاً، لأن المهاجرين إلى الحبشة وجدوا ملجأ طيباً فقد أكرمهم النجاشي وأمّن على حياتهم.

كذلك فإن اختيار الرسول صلى الله عليه وسلم لتكون الحبشة دار هجرة دون سواها من البلاد المجاورة ترجع أيضاً إلى أسباب أخرى ، هى أن القبائل العربية حتى ذلك الوقت كانت ترفض الدعوة الإسلامية وتتمسك بدياناتها الوثنية، كذلك لم يأذن الرسول صلى الله عليه وسلم لأصحابه بالهجرة إلى يثرب أو نجران لما كان بينها من منازعات دينية، ولم يطمئن الرسول صلى الله عليه وسلم إلى بلاد اليمن والشام والحيرة لبعدها عن مكة من ناحية وعلاقاتها بقريش من ناحية أخرى.

وهناك عوامل أخرى وقفت سبباً من أسباب اختيار الرسول صلى الله عليه وسلم للحبشة لتكون دار هجرة منها ماذكره حسن إبراهيم[٥]، وهو أن الحبشة كانت أقرب البلاد المسيحية إلى الجزيرة العربية، والتي كان يحكمها ملك مسيحي، يضاف إلى ذلك سهولة الملاحة في البحر الأحمر التي كانت أفضل وأسهل على المهاجرين من أن يذهبوا إلى الحبشة بدلاً من أن يتجهوا شمالاً أو جنوباً أو حتى شرقاً، وهى جهات قد يجد فيها المسلمون قبائل أكثر عداءً للإسلام وأشد تناحراً فيما بينها.

ولم يكد يخرج المهاجرين من أرض مكة ويتجهون إلى ميناء الشعيبة على ساحل البحر الأحمر[٦]، ثم يستأجرون من سفن الأحباش التي كانت ترتاد ذلك الميناء ويصلون إلى أرض الحبشة، إلا ويجدون المكان المناسب لحمايتهم وإعطائهم الحرية والأمان في أرض النجاشي.

ومما لا شك فيه أنه كان لهذه الهجرة أثر كبير في نشر الإسلام وترغيب الناس فقد شاع الدين الجديد بين العرب ، وعرفوا أن فريقاً من القرشيين خرجوا مهاجرين من بلدهم مكة إلى الحبشة فراراً بدين الله الذي جاء به النبى (صلى الله عليه وسلم)، وبذلك قدر لهذا الدين أن يصل إلى آذان من لم يكن سمع به من قبل، ثم إنه كان لخروج هذه الجماعة المضطهدة أثر كبير في ترقيق قلوب أهليهم، إذ رأوا أن فريقاً منهم اضطر لهجره وطنه لأنه أوذى في دينه.

ولقد اضطرت قريش حين علمت بأمر هذه الهجرة، إذ رأت أن الإسلام بلغ في

نفوس أهله مبلغاً كبيراً، كما رأت أن كثيراً من الناس يسارعون إلى الدخول فيه حين يرون أن وجود هؤلاء المهاجرين بالحبشة سينجيهم من عدوان قريش، ولا سيما حين تتلاحق أفواجهم إلى الحبشة وتزداد أعدادهم ويصبحون قادرين على الوقوف في وجه قريش أو العودة إلى مكة فاتحين.

ولما رأت قريش أن المسلمين استقروا في الحبشة أرسلت في أثرهم وفدا يحمل مجموعة من الهدايا إلى النجاشي، ويطالبون باسم سادة قريش أن يعيد أولئك المهاجرين إلى مكة، وكان ذلك الوفد الذي أرسلته قريش مكوناً من رجلين هما عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة، وعند وصولهما إلى أرض الحبشة اتصلا ببطارقة النجاشي ووزعا عليهم الهدايا التي جاء بها من الحجاز ثم طلبا منهم مساعدتهما عند الملك ليرد لهم أولئك المهاجرين الذين أسلموا وجاءوا إلى بلاده، فوعدوهما بذلك، ثم ذهبا لمقابلة الملك، وعند مقابلته، أعطياه الهدايا التي كانا قد أحضراها معهما من مكة ثم كلماه فقالا له «أيها الملك إنه قد ضوى إلى بلدك منا غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا في دينك، وجاءوا بدين ابتدعوه، لا نعرفه نحن ولا أنت، وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من أبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردهم إليهم، فهم أعلى بهم عينا، وأعلم بما عابوا عليهم، وعاتبوهم فيه»[٧] وعند سماع النجاشي كل ماقال ابن العاص وابن ابي ربيعة، قام البعض من بطارقة النجاشي وأوصوا الملك بإرجاع أولئك المهاجرين المسلمين، فغضب لتصرف بطارقته وكذلك لكل ما سمع من وفد قريش ثم قال «لاها الله إذن لا أسلمهم إليهما، ولا يكاد قوم جاورونى ونزلوا بلادي، واختاروني على من سواى حتى أدعوهم فأسألهم عما يقول هذان في أمرهم، فإن كانوا كما يقولان أسلمتهم إليهما ورددتهم إلى قومهم، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم منهما واحسنت جوارهم ماجاورونى»[٨].

وبعد إصرار النجاشي على السماع من المسلمين جيء بهم وكان متكلمهم جعفر بن أبي طالب (رضى الله عنه)، فبعد أن سأله الملك عن الدين الذي اعتنقوا وفارقوا ديانة قومهم فقال له جعفر «أيها الملك، كنا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام،

ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوى منا الضعيف، فكنـا على ذلك، حتى بعث الله إلينا رسولا منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لتوحيده ونعبده، ونخلع ماكنا نعبد نحن وأباؤنا من دونـه من الحجـارة والأوثـان وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات، وأمرنا أن نعبد الله وحده، لانشرك به شيئا، وحرمنا ما حرم علينا ، وأحللنا ماأحل لنا، فعدا علينا قومنا، فعذبونا، وفتنونا عن ديننا، ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى، وأن نستحل ماكنا نستحل من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلادك واخترناك على من سواك، ورغبنا في جوارك، ورجونا ألا نظلم عندك أيها الملك.. (٩).

وبعد سماع النجاشي تلك المقولة الصادقة من جعفر أدرك أن أولئك المهاجرين أصحاب الحق والكفة الراجحة، فلم يكن يصغي لعمرو بن العاص وصاحبه، ولم يلب طلبهما الذي جاءا من أجله، وسمح لجعفر بن أبي طالب وأصحابه أن يعيشوا في الحبشة تحت حمايته وفي ظل حكمه، وبهذا ثبت أن توقّع الرسول (صلى الله عليه وسلم) بأنه ملك لا يظلم عنده أحد كان توقعاً صادقاً، وبعد نظر ثاقب.

ومع أنا لسنا بصدد الروايات المختلفة التي وردت عن مادار بين النجاشي ووفد قريش، أو معه ومع أصحاب الرسول (صلى الله عليه وسلم)، كذلك لسنا بصدد التفصيل في الهجرة من مكة إلى الحبشة، لا من حيث أهدفها ولا عددها، أهي هجرة واحدة أم اثنتان أم ثلاث، وإنما الذي يهمنا في هذا المقام هو العلاقات السياسية بين الرسول (صلى الله عليه وسلم) وبين ملك الحبشة، وخصوصاً بعد هجـرة المسلمين إلى بلاده، حيث حفـظت لنـا كتب التاريخ والسير العديد من الوثائق السياسية التي تم تبادلها بين الرسول (صلى الله عليه وسلم) والنجاشي، ومن أول تلك الوثائق رسالة أرسلها الرسول (صلى الله عليه وسلم) مع عمرو بن أمية الضمـرى(١٠) بعـد أن سمـع أن قريشاً أرسلت وفداً ليقنع النجاشي باسترداد

المهاجرين والرجوع بهم إلى مكة، وقد أوضح الرسول صلى الله عليه وسلم ضمن رسالته تلك الهدف الذي جعل المهاجرين يذهبون إلى بلاده مبيناً ما وقع من اضطهاد وعسف حل بأصحابه من جانب قريش، ثم ذكر أيضاً تفضيل الحبشة على ماسواها من البلاد[١١]، وهذه الرسالة بدون شك قد حدثت في مرحلة الدعوة المكية وأكبر دليل على ذلك أن عمرو بن العاص وابن أبي ربيعة كانا قد لحقا بالمهاجرين في الحبشة قبل هجرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى المدينة المنورة، وربما لم يكن قد فكر في الهجرة إليها من مكة بعد.

وتلا تلك الرسالة التي ارسلها الرسول (صلى الله عليه وسلم) ثلاث رسائل أخرى ذكرها محمد حميد الله[١٢] وهى متشابهة في محتواها، وفيها يظهر دعوة الرسول (صلى الله عليه وسلم) للنجاشي ليدخل في الدين الإسلامي، ومن مضمون تلك الرسائل يبدو أنها أرسلت في الفترة المدنية وبعد السنة السابعة تقريباً، لأن صياغة أسلوبها من قبل الرسول (صلى الله عليه وسلم) لا يختلف عن صياغة الرسائل التي كان قد أرسلها إلى ملوك وأباطرة الأرض، وذلك بعد أن عقد مع قريش ما عرف في التاريخ بصلح الحديبية[١٣]، لكن من يقف وقفة المدقق لالفاظ تلك الرسائل يجد محمد حميد الله يقسمها إلى ثلاث رسائل، علماً أنه ليس هناك إختلاف في معناها، وإن توفر بعض الاختلاف اللفظى فهذا حسب اعتقادي لا يعني أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) أرسل ثلاث رسائل متتالية وإنما هي تقريباً رسالة واحدة، وبالتالي أدخل عليها المؤلفون والنساخ التبديل والتغيير في اللفظ حتى يراها القارىء لأول وهلة ثلاث رسائل مختلفة، ثم إننا لو حاولنا أن نُسلّم بأنها ثلاث رسائل، فقد لا نجد إلّا رسالة واحدة من النجاشي يرد فيها على رسالة الرسول (صلى الله عليه وسلم) ويرحب فيها بدعوته إياه إلى الإسلام ثم تبع ذلك أن أعلن إسلامه قائلاً إني «أشهد أنك رسول الله صادقاً مصدقاً وقد بايعتك وبايعت ابن عمك واصحابه، بل وأسلمت على يديه لله رب العالمين[١٤]».

ولعل إسلام النجاشي هنا يكون قد نتج عن طريق تأثير المهاجرين الأوائل في بلاده، حيث إنه ليس ببعيد أن يكون قد انتشر الإسلام بين الأحباش عن طريقهم،

ثم أنه ليس ببعيد أيضاً أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) كان يسعى إلى الاتصال بالمسلمين في الحبشة، فيشجعهم على الثبات على دينهم، والظهور بالمظهر الحسن الموافق للعقيدة الإسلامية، وذلك ليكون لهم التأثير في المجتمع الحبشي وبالتالي يدينون بالإسلام كما فعل النجاشي عندما جاءته الدعوة من رسول الله.

ونلاحظ أن محمد حميد الله يستطرد في ذكر الرسائل التي تم تبادلها بين الرسول (صلى الله عليه وسلم) ونجاشي الحبشة بعد إسلامه فيورد كتابين تم إرسالهما من النجاشي وفيهما يظهر سمات توطيد العلاقات السياسية بين ملك الحبشة والرسول (صلى الله عليه وسلم)، حيث ذكر في أحدهما «أما بعد: فإني قد زوجتك أمرأة من قومك وعلى دينك وهي السيدة أم حبيبة بنت أبي سفيان[١٥]، واهديتك هدية جامعة قميصاً وسروالاً وعطافاً وخفين»[١٦]. وفي الرسالة الثانية يقول «أما بعد: فقد أرسلت إليك يا رسول الله من كان عندي من أصحابك المهاجرين من مكة إلى بلادي، وها أنا أرسلت إليك إبني أريحا في ستين رجلاً من أهل الحبشة وإن شئت اتيتك بنفسي فعلت يا رسول الله، فإني أشهد أن ما تقوله حق»[١٧].

وهاتان الرسالتان الأخيرتان من النجاشي إلى الرسول (صلى الله عليه وسلم) توضحان لنا توطيد العلاقة بين الطرفين، حتى إن النجاشي يقوم بتزويج الرسول (صلى الله عليه وسلم) ودفع الصداق عنه بل ويرسل العديد من الأحباش المسلمين ليقدموا ولاءهم وخدمتهم للإسلام واعلاء كلمة الدين، كذلك يبادر الرسول (صلى الله عليه وسلم) إثر سماعه بوفاة النجاشي فيترحم عليه، ثم يأمر أصحابه بالترحم عليه أيضاً، والصلاة عليه صلاة الغائب، ومثل هذا لايحدث من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إلا ويكون هناك علاقة طيبة مع ذلك المسلم الحبشي[١٨].

ومع أن العلاقات بين الرسول (صلى الله عليه وسلم) والنجاشي كانت طيبة وحسنة، إلّا أن ذلك لم يمنع من وقوع بعض اعتداءات الأحباش وخصوصاً القراصنة[١٩] الذين كانوا يستوطنون بعض جزر البحر الأحمر، حيث أشارت بعض المصادر إلى أن العديد من القراصنة الأحباش كانوا قد أغاروا على سواحل ميناء جدة، وذلك في شهر ربيع الأول سنة ٩هـ وعند سماع الرسول (صلى الله عليه

وسلم) بتلك الغارة أرسل سرية يقودها علقمة بن محرز المدلجي لمواجهة أعمال القرصنة واعتداءات الأحباش، وعند وصول تلك السرية، التي تتكون من ثلاثمائة رجل، إلى سواحل جدة تراجع القراصنة الأحباش منهزمين إلى ديارهم[٢٠].

ومع أن المصادر العربية لم تذكر صراحة موقف الأحباش من المسلمين رغم الصلات الطيبة والعلائق الوشيجة التي تربط الرسول (صلى الله عليه وسلم) بملك الحبشة، إلّا أن الراجح أن ملك الحبشة نفسه دان بالإسلام، بل وأرسل من قبله وفداً يذهب إلى المدينة لمقابلة الرسول (صلى الله عليه وسلم) وللاستقرار في أرض الحجاز، وربما كان لتمادي ملك الحبشة في استمرار علاقاته الطيبة بالمسلمين عاملاً مهماً من عوامل تحرش بعض الأحباش الذين لم يرضهم ما يقوم به ملكهم من تواد وتعاطف تجاه المسلمين، لذلك بادروا بأعمال القرصنة ومهاجمة سواحل الحجاز، إلى جانب أنه كان هناك ربما دافع آخر قد يكون لعب دوراً في مهاجمة سواحل الحجاز، ألا وهو حب القراصنة لمهنتهم وممارسة الاعتداء وبث الرعب في قلوب أفراد المجتمعات الهادية المطمئنة، بل والعيش على مهنة السلب والنهب والاغارة على أهالي السواحل.

ولم تكن إغارات قراصنة الأحباش تتوقف عندما قاموا بها في سنة ٩هـ، وإنما تكررت في عهد الخلفاء الراشدين وبصفة خاصة على ميناء جدة، ففي سنة ٢٠هـ/٦٤١م هاجمت غارة حبشية موانىء الحجاز فتصدى لها الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب (١٣-٢٣هـ/ ٦٣٤ - ٦٤٤م) بإرسال سرية مكونة من أربع سفن لترد تلك الغارة وتطردها من مهاجمة سكان الحجاز[٢١].

لم تكن الصلات الحسنة بين أهالي الحبشة والخلفاء الراشدين في الحجاز قد انقطعت بوفاة الرسول (صلى الله عليه وسلم)، وإنما الهجرات العربية ازدادت نشاطاً في العقود الثلاثة الأولى بعد موت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وذلك لما حدث في الساحة الإسلامية، وخصوصاً منطقة الحجاز، من حروب وفتن كحروب الردة في عهد الخليفة أبي بكر الصديق (١١ - ١٣هـ/٦٣٢ - ٦٣٤م) وكالفتنة والحروب الأهلية التي حدثت في عهد الخليفة عثمان بن عفان (٢٣ -

٣٥هـ/٦٤٤ ـ ٦٥٦م)، وتلك الهجرات من بلاد الحجاز وكذلك من أجزاء عديدة داخل وخارج شبه الجزيرة العربية كانت قد فتحت طريقاً لانتشار الإسلام في بلاد الحبشة وغيرها من بلاد أفريقيا بل وساعدت أيضاً على انتشار الثقافة والفكر الإسلامي في تلك البلاد[٢٢].

وبالموازنة بين عصر الرسول (صلى الله عليه وسلم) وعصر الخلفاء الراشدين نرى أن صلات الخلفاء الراشدين بملوك الأحباش قد أهملتها المصادر تماماً وربما نتج هذا التجاهل من جانب المؤلفين الأوائل، عن عدم وجود صلات ملموسة بين الجانبين كتلك الصلات القوية التي كانت عليها الحال أيام الرسول (صلى الله عليه وسلم) ونجاشي الحبشة، وقد يكون هذا الافتراض صحيحاً خاصة إذا أدركنا الظروف القاسية التي مرت بها الدولة الإسلامية خلال عصر الخلفاء الراشدين إضافة إلى أن الفتوحات الإسلامية والتوسع الكبير الذي شغل المسلمين في عصر الخلافة الراشدة، والذي كان بعيداً عن أرض الأحباش ومركزاً في بلاد فارس والشام ومصر التي عن طريقها امتد الإسلام إلى بلاد النوبة المجاورة لأرض الحبشة، وبلاد النوبة سوف تكون محور حديثنا في موضع آخر من هذا البحث.

ب ـ العلاقات التجارية بين الحبشة والحجاز :

أدت العلاقات السياسية الطيبة بين الأحباش في عهد أصحمه النجاشي، وبين أهل الحجاز في عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم) وإلى حد ما في عهد الخلفاء الراشدين، إلى نشاط العلاقات التجارية والتي أصبحت استمراراً للعلاقات التجارية التي كانت سائدة في العهود السابقة للإسلام، فيذكر لنا ابن حبيب روايات عدة يوضح فيها نشاط انتشار الرقيق الحبشي، وكذلك السلع المستوردة من بلاد الأحباش إلى أسواق الحجاز حيث كانت تجد لها رواجاً بين سكان الحجاز وغيرهم من سكان شبه الجزيرة العربية[٢٣].

ومما يؤكد القول بأنه كانت هناك صلات تجارية وثيقة ماذكرته بعض الروايات عن الإيلاف الذي أوجدته قريش خصوصاً أولاد عبد مناف الأربعة[٢٤] والذين ذهب

كل واحد منهم إلى طرف من أطراف العالم آنذاك ليحصل من ملك تلك البلاد الحماية والأمان لتجار الحجاز، وخصوصاً القرشيين، ومما ثبت أن عبد شمس بن عبد مناف كان هو الذي ذهب إلى ملك الحبشة ليحصل على ذلك الأمان، وفعلاً قد نجح في مهمته حتى أصبح تجار قريش يذهبون ويرجعون بتجارتهم وسلعهم المختلفة ما بين أرض الحجاز وبلاد الحبشة[٢٥].

لقد كانت هجرة المسلمين الأوائل إلى بلاد الأحباش والمراسلات المستمرة بين الرسول (صلى الله عليه وسلم) وبين أصحمة ملك الحبشة دليلاً قوياً على أواصر الصداقة، بل وعاملاً مساعداً على تنشيط العلاقات التجارية بين الطرفين، فلقد كثرت الطرق التجارية التى كانت تربط بينهما، فهنالك الطريق البحرية التي كانت تربط موانىء بلاد الأحباش بموانىء الحجاز أمثال الشعيبة وجدة والجار[٢٦]، كذلك كان هنـاك طريق آخـر يربط بلاد الأحباش بالبلاد اليمنية، وبالتالي تتصل أرض اليمن مع الحجاز بعدة طرق برية يصل من خلالها سلع بلاد الأحباش إلى أسواق الحجاز[٢٧].

أما الطريق البحرى الذي يربط بلاد الحبشة بموانىء بلاد الحجاز، عبر البحر الأحمر، خلال عصر الإسلام، فقد أفاضت المصادر في ذكره، وأول إشارة إلى ذلك عند الحديث عن هجرة المسلمين الأوائل الذين خرجوا من مكة إلى ميناء الشعيبـة، ثم ركبـوا سفنـاً بحـرية من سفن الأحبـاش حتى أوصلتهم إلى أرض الحبشة، وفي حقيقة الأمر فإن تلك السفن التي حملت أولئك المهاجرين لم تكن مخصصة فقط لحمل المسافرين، وإنما كانت أيضاً تحمل البضائع المتنوعة والتي يتم تصديرها أو استيرادها بين الحجاز والحبشة، ثم إن أسعار النقل على ما يبدو لم تكن عالية والدليل على ذلك أن المهاجرين انفسهم قد استأجروا سفينتين من تلك السفن لتوصلهم إلى أرض الحبشة بنصف دينار فقط[٢٨].

أدى ذهـاب أولئـك المهـاجـرين الأوائل إلى بلاد الأحباش إلى تنشيط حلقة الاتصال الاجتماعى والتجاري بين الأحباش وأهل الحجاز وخصوصاً المكيين، وذلك أن قريشاً قد أصابها القلق لخروج أولئك المسلمين، ثم إن المهاجرين كانوا

في بلاد الحبشة يراقبون التطورات السياسية والدينية في الحجاز، وكل هذه الظروف لابد أن تكون قد أثرت في الصلات بين الطرفين، وبالتالي جعلت حركة التجارة أكثر نشاطاً مما كانت عليه قبل الإسلام وبانتقال الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى المدينة بعد الهجرة أدى بالتالى إلى توسع الصلات التجارية أيضاً، وذلك أن المسلمين في أرض الحبشة كانوا دائماً على اتصال بأحوال المسلمين في مكة قبل الهجرة، لكن بعد انتقالهم إلى المدينة صاروا يتصلون من خلال التجار بالرسول (صلى الله عليه وسلم) والمسلمين في المدينة وذلك من خلال الطريق البحرى الذي يربط بلاد الأحباش بميناء الجار أو ماسمته بعض المصادر ميناء المدينة(٢٩). والذي ذكر أنه كان يستقبل الأنواع العديدة من السفن التي كانت تأتي إليه من الحبشة وغيرها وهي محملة بأنواع السلع المختلفة(٣٠).

ومما يؤكد استخدام ميناء الجار من المهاجرين الذين كانوا في الحبشة ومنهم من كان على صلة دائمة بالرسول (صلى الله عليه وسلم) في المدينة، وكذلك بذويهم وأقاربهم الذين أسلموا وهاجروا إلى المدينة وأنهم هم أنفسهم قد أرسلوا من قبل نجاشي الحبشة وعلى سفن حبشية وذلك في السنة الثامنة للهجرة حتى نزلوا على ميناء الجار ثم ذهبوا حتى قابلوا الرسول (صلى الله عليه وسلم) وهو في خيبر بعد فتحها، ففرح بهم الرسول (صلى الله عليه وسلم) فرحاً شديداً واستقبلهم، مع قائدهم جعفر بن ابي طالب، استقبالاً طيبا(٣١).

ومع وجود صعوبة في معرفة السلع المتبادلة بين الحبشة والحجاز، وذلك لقلة المصادر وندرة المعلومات التي تناولتها، إلا أننا مع هذا كله حصلنا على بعض المعلومات المتناثرة في مصادر ومراجع متعددة أشارت إلى بعض السلع المتنوعة والمتبادلة بين الأحباش والحجازيين.

فقد أرسلت بلاد الحبشة الرقيق الذين كانوا يباعون في أسواق الحجاز وغيرها من أقاليم شبه الجزيرة العربية، وذلك لاستخدامهم في أعمال حرفية ومهنية متعددة(٣٢)، ومن صادرات الحبشة كذلك السيوف والخناجر التي كانت ترسل من الحبشة إلى أسواق مكة، وأكبر دليل على ذلك الإشارة إلى أن النجاشي أهدى

جعفر بن أبى طالب أثناء رجوعه مع المهاجرين إلى المدينة بعض الخناجر والسيوف والتي منها سيف يقال له الغمام حيث بقي ذلك السيف مع جعفر حتى قتل في غزوة مؤته[٣٣]، وتذكر بعض الروايات التاريخية أن الألبسة المختلفة كانت تصدر من الحبشة إلى الحجاز، ومما ثبت عن أصحمه النجاشي نفسه أنه أرسل العديد من الهدايا إلى رسول الله بعد أن اعتنق الإسلام، وكان من بين تلك الألبسة الأقمصة والسراويل وبعض أدوات الزينة، والبسة القدم كالخف وما شابهه[٣٤]، إلى جانب أن المهاجرين أنفسهم والتجار سواء من الحجاز أو بلاد الأحباش كانوا يصدرون العديد من السلع التي توجد في بلاد الأحباش أو حتى في الأجزاء الأفريقية الأخرى، أمثال العاج والمعادن والأخشاب وغيرها[٣٥].

لم تذكر المصادر شيئاً كثيراً عن واردات الحبشة من أرض الحجاز وربما كان ما تستورده الحبشة من الحجاز قليلاً نادراً لأن منطقة الحجاز كانت فقيرة في مصادرها وثرواتها التجارية، إلا أنها تمتلك الأسواق النشيطة والتي يرتادها التجار من جميع أنحاء العالم وذلك لكونها بلاداً مقدسة، وهي ميزة لم يتمتع بها غيرها، لذلك لم يكن الأحباش يستغنون عن المتاجرة في أسواق الحجاز، بل والاستيراد من السلع التي تروج في تلك الأسواق وهي كثيرة جداً[٣٦] غير أن ماذكرته المصادر من سلع تم تصديرها إلي الحبشة وبصورة واضحة هي الألبسة، أمثال الحلل والجباب وغيرها[٣٧] والتي كانت أكثر ماتوجد في اليمن، لكنها تصدر إلى الحجاز ومنها ترسل إلى أقاليم عديدة في العالم أمثال الحبشة، كذلك العسل واللبان الذي كان يرسل من مكة والمدينة ثم عبر الطريق البحرى إلى الحبشة[٣٨] أما الصناعات الجلدية والأديم فكانت من أهم الأشياء التي تصدر إلى الحبشة، بل كان ملك الحبشة والأحباش يفضلون استيراد المصنوعات الجلدية الحجازية المشهورة بالجودة ودقة العمل[٣٩]. وكذلك الخيول العربية التي ثبت أنها كانت تصدر إلى بلاد الأحباش[٤٠].

جـ ـ العلاقات السياسية والتجارية مع بلاد النوبة :

إن الاتصـال بين بلاد النوبة، (السودان حالياً)[41] وبين منطقة الحجاز خلال العقود المبكرة من عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم) والخلافة الراشدة، كان في حقيقة الأمر قد تلا الاتصال مابين أهالي بلاد الأحباش والحجازيين، لكن الشيء الذي لا يستبعد هو أن أهالي النوبة ربما قد سمعوا بظهور الرسول (صلى الله عليه وسلم) في مكة، وذلك عندما ذهب المهاجرون الأوائل إلى بلاد الحبشة، ثم عندما هاجر الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى المدينة وكون الدولة الإسلامية، ثم اتصل بالملوك والاباطرة في ذلك الزمان يدعوهم للإسلام وكان من ضمنهم المقوقس ملك مصر المجاورة لبلاد النوبة، والذي استقبل رسول الرسول (صلى الله عليه وسلم) استقبالاً حسناً[42].

والاتصال بين الحجاز وبلاد النوبة لم يكن بعد يظهر بشكل ملموس إلاّ بعد أن عم نور الإسـلام فيافي الجـزيرة العـربية ووهـادها، ثم تدفقت الجيوش العربية المسلمة والأمل يحدوها في نشر الإسلام، وذلك بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، وفي فتـرة زمنية لاتتجاوز العقد من الزمان، استطاعت تلك الجيوش أن تدوخ أكبر دولتين في العالم الامبراطورية الفارسية والامبراطورية الرومية في كل من بلاد فارس والشـام، بل وواصلت مسيرتهـا حتى فتحت بلاد مصر وصارت على أبواب بلاد النوبة المجاورة للاراض المصرية من الجنوب[43].

وعند وصول الجيوش العربية إلى أرض مصر، حدث العديد من الاعتداءات من قبل النوبيين على الحدود الجنوبية لمصر، فلم يكن على المسلمين في مصر إلاّ استشارة خليفة المسلمين في المدينة عمر بن الخطاب، الذي أمر واليه عمرو بن العاص بأن يتصدى لاولئك المعتدين من أهل النوبة، فقام عمرو وأرسل جيشاً في سنة ٢١/٦٤١ بقيادة عقبة بن نافع الفهرى، تقدم ذلك الجيش حتى دخل بلاد النوبة، لكنه لم يحقق النصر، ولم تؤد حملة عقبة إلى نتيجة، وذلك لما لقى من مقاومة عنيفة من قبل النوبيين، فتراجع إلى الوراء وبقيت المناوشات مستمرة ما بين

المسلمين في مصر والنوبيين في بلادهم ، بل واستمرت اعتداءات أهل النوبة تقرع أبواب مصر الجنوبية حتى كانت خلافة عثمان بن عفان، فعزل عمرو بن العاص عن ولاية مصر، وولى بدلا منه عبدالله بن سعد بن ابي السرح الذي صمم على وضع حد للغزوات والاعتداءات التي كان يمارسها أهل النوبة ضد المسلمين في مصر[٤٤].

واستعد عبد الله بن سعد بن أبي السرح، ثم خرج على رأس جيش كبير بلغ عدده نحو خمسة ألاف مقاتل وذلك في سنة ٦٥٢/٣١م حتى وصل دنقلة، عاصمة مملكة المغرة المسيحية، فشدد الحصار عليها وضربها بالمنجنيق، وهدم كنيستها، وبث الرعب في قلوب أهل النوبة، وحينئذ طلب ملك النوبة، وهو قاليدرون Qual-idrun ، الهدنة، فوافق الأمير عبد الله بن سعد ابن أبي السرح ولا سيما أن جيشه قد أصابه التعب والارهاق، ثم إنه لم يكن يتطلع إلى فتح توسعى وإنما كان يهدف من محاربتهم إلى وضع حد لهجماتهم المتكررة على جنوب مصر[٤٥].

وكانت تلك الهدنة التي وافق ابن أبي السرح على عقدها مع ملك النوبة، قد عرفت في الكتب التاريخية والفقهية بعهد النوبة أو معاهدة البقط.

وكانت عبارة عن هدنة أمان أو معاهدة عدم اعتداء، التزم الطرفان بمقتضاها على أن لايعتدى أحدهما على الآخر، وكذلك أن يدفع ملك النوبة لبيت مال المسلمين في المدينة ثلاثمائة وستين رأساً من الرقيق الاصحاء في كل عام، وكذلك يعطي التجار من الطرفين الحرية باجتياز ديار بعضهم دون أن يتعرض لهم أحد بإيذاء[٤٦].

وفي أثناء المفاوضات لعقد تلك المعاهدات أشارت الروايات إلى أن ملك النوبة اشتكى إلى عبد الله بن سعد بن أبي السرح من قلة الطعام في بلده، فالتزم له بعد مشاورة الخليفة في المدينة بأن يدفع له كمساعدة وضمن معاهدة البقط ألف أردب من القمح، ولرسله ثلاثمائة إردب من القمح ومثلها من الشعير وكذلك مائة ثوب قماش، ومن القباطي أربعة أثواب للملك ولرسله[٤٧].

وإذا كان عرب الحجاز قد وصلوا إلى مصر ثم بلاد النوبة أثناء الفتوحات الإسلامية وعبر الطريق البري الذي يربط الحجاز ببلاد الشام ثم مصر، فإنهم أيضاً كانوا قد اتصلوا ببلاد النوبة عبر البحر الأحمر(٤٨)، وفي فترة سبقت وصول الجيوش الإسلامية إلى مصر في عهد عمر بن الخطاب، حيث تذكر بعض الروايات أن الخليفة أبا بكر الصديق قد نفى جماعة من أعراب الحجاز إلى مناطق على سواحل النوبة للبحر الأحمر(٤٩)، بل وفي رواية أخرى يذكر أن الصحابي أبا محجن الثقفي قد عبر البحر الأحمر حتى وصل إلى سواحل بلاد النوبة، وذلك في سنة ١٦/٦٣٧م(٥٠). ويشير الأستاذ الدكتور مصطفى مسعد(٥١) إلى عبور بعض أفراد القبائل العربية أمثال هوازن وربيعة للبحر الأحمر واستقرارهم ببلاد النوبة وبعض البلاد المجاورة لها، وذلك خلال العقود الإسلامية الأولى من القرن الهجرى الأول، كما يورد أيضاً الدكتور السر أحمد العراقي(٥٢) إشارات يوضح فيها تدفق الهجرات العربية إلى بلاد النوبة وغيرها وذلك خلال عهد الخلفاء الراشدين مرجحاً تكاثر تلك الهجرات في عهد الخليفة عثمان بن عفان خصوصاً عندما اشتدت الحرب الأهلية بين المسلمين في الحجاز، والتي أدت بالتالي إلى قتل الخليفة، مما سبب هجرة العديد من أفراد العرب القاطنين بالحجاز وغيرها حيث اتجهوا إلى الأجزاء الأفريقية أمثال النوبة والحبشة ومصر فاستقروا بها وأثروا في الناحية الاجتماعية والحضارية بوجه عام.

ونتج عن الاتصال مابين منطقة الحجاز عبر البحر الأحمر أو عبر الشام ومصر بعد فتحها أن نشطت الحركة التجارية بين الطرفين، وصاروا على أثر معاهدة البقط يذهبون ويروحون ما بين بلاد النوبة ومناطق المسلمين بما فيها بلاد الحجاز، بل والسلع التجارية صارت تنقل من النوبة إلى أسواق الحجاز والعكس صحيح.

وقد يتضح من معاهدة البقط أن أهل النوبة يرسلون لبيت مال المسلمين في المدينة الرقيق الذين أتفق عليهم في تلك المعاهدة، في حين أن خليفة المسلمين وواليه على مصر يقدمان المساعدات التي تتكون من الحبوب والمؤن والملابس فيرسلونها إلى أهل النوبة، إلى جانب أن التجار كانوا يصدرون من أسواق الحجاز

بعض المصنوعات الجلدية، والأطعمة والأقمشة التي كانت توجد فيها بوفرة والتى كان البعض فيها يجلب من مناطق تجارية أخرى كبلاد اليمن وغيرها[٥٣].

ومن بلاد النوبة إلى جانب الرقيق، كان يصدر منها المعادن والعاج والعنبر والصمغ[٥٤].

مما تقدم نلاحظ أن العلاقات السياسية بين الحجاز والحبشة كانت أسبق من العلاقات التي قامت بين أهل الحجاز وأهل النوبة، بالإضافة إلى أن المصادر توضح أن العلاقات السياسية مع أهل الحبشة كانت نشطة في عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم) إذا ما قورنت بالعلاقات بين تلك البلاد والحجاز في عهد الخلفاء الراشدين، ويتضح في هذا البحث أيضاً أن الصلات مع أهل الحبشة كانت صلات مراسلات وتبادل الوفود بين كل من المسلمين في الحجاز والملك النجاشي في الحبشة.

أما العلاقات السياسية بين أهل الحجاز وأهل النوبة فلم تظهر بشكل ملموس إلاّ في عهد الخلفاء الراشدين وذلك بعد امتداد الفتح الإسلامي إلى كل من بلاد الشام ومصر، أيضاً أن الصلات بين أهل النوبة والحجازيين كانت في بادىء الأمر صلات طابعها الصدام المسلح ثم تلى ذلك أن رحب أهل النوبة بالإسلام وانفتحت بلادهم للمد الإسلامي الذي أخذ ينتشر في أنحاء افريقيا فيطبعها بالطابع الثقافي الإسلامي.

وبالعودة إلى العلاقات التجارية بين الحجاز والنوبة والحبشة رأينا أنها كانت تتأثر بالعلاقات السياسية التي كانت تجرى في ذلك الزمن، إلاّ أنها بدون شك كانت أيضاً مستمرة من الوقت السابق للإسلام، لكن بعد أن جاء الإسلام ووصل إلى تلك الديار كان عاملاً مساعداً في تنشيط حركة المجال التجارى والثقافي بين بلاد الحجاز وتلك الأجزاء الأفريقية.

الهـــــوامش

(١) الحبشة قبل الإسلام وبعد ظهوره سادت فيها مملكة اشتهرت باسم مملكة أكسوم الحبشية، مؤسسوها قبائل سامية من اليمن تدعى حبشت وهي، التي سميت البلاد باسمها فيما بعد، وقد سيطرت هذه القبيلة على بعض مناطق الحبشة، وسادت لغتها التي غدت اللغة الأدبية للمسيحيين، وكان لهذا العنصر نظمه الاجتماعية، واستطاع إدخال الحضارة السبئية التي كانت قائمة في اليمن، والتي قامت في القرن السابع قبل الميلاد، ثم امتد سلطانها في بلاد اليمن ثم بلاد السودان والمناطق الساحلية حتى ضمت اريتريا وعاصمتها اكسوم. ويذكر أن المسيحية دخلت أرض الحبشة في القرن الرابع الميلادي، ويقال أن عيزانا أحد ملوك اكسوم هو الذي دخلت المسيحية في عهده وجعلها الديانة الرسمية للدولة، وقد غزى الأحباش بلاد العرب حتى كانت آخر محاولة للسيطرة عليها هي غزوة الكعبة بقيادة ابرهة الأشرم سنة ٥٧١م. انظر معلومات أكثر في جلال الدين السيوطي، ازهار العروش في اخبار الحبوش، مخطوط، ومصور عن نسخة بالاسكوريال ـ ميكروفلم رقم ٢٧ تاريخ، بدار الكتب بالقاهرة، عبد الرحمن بن الجوزى، تنوير الغبش في فضل السودان والحبش، مخطوط، ومصـور عن نسخة بالاسكوريال، ميكروفيلم رقم ٢٩، تاريخ، دار الكتب القاهرة، الشاطر بوصيلى عبد الجليل، معالم تاريخ السودان ووادى النيل (القاهرة، ١٩٥٧م) ص، ٧.

(٢) انظر محمد بن حبيب، كتاب المنمق في أخبار قريش، تحقيق خورشيد أحمد فاروق (بيروت، ١٤٠٤ / ١٩٨٥) ص، ٣٢، علماً أن المصادر لم تذكر السبب الذي خلق الشجار فيما بينهم.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وآخرين (مكان النشر والتاريخ بدون) جـ١، ص، ٣٢١ ـ ٣٢٢؛ ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب (مكان النشر والتاريخ بدون) جـ٧، ص، ١٨٨.

(٤) ضمرة قبيلة عربية تنتسب إلى كنانة بن خزيمة من العدنانيين وهم في الأساس بنو ضمرة بن بكر بن عبد مناه ابن كنانة بن خزيمة من مدركة بن مضر بن نزار بن عدنان. انظر ترجمة ومصادر عديدة عن هذه القبيلة في كتاب عمر رضا كحالة، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥/١٩٨٥) جـ٢، ٦٦٧ ـ ٦٦٨ وتفصيلات أكثر عن شخصية عمرو بن أمية الضمرى انظر، محمد بن جعفر بن جرير الطبرى، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (بيروت، تاريخ النشر بدون) جـ٢، ص ٥٤٢ وما بعدها.

(٥) حسن إبـراهيم حسن، تاريخ الإسـلام، السياسي والـديني والثقـافي والاجتماعي، ط٨ (القاهرة، مكتبة الانجلو، ١٩٧٤) جـ١ ص، ٨٧ ـ ٨٨.

(٦) والشعيبة كانت الميناء المستخدم من قبل ظهور الإسلام، وهي تبعد عن مكة جهة الجنوب بحوالي خمسة وثمـانين كيلاً. انظر حمد الجاسر، في شمال غرب الجزيرة، نصوص، مشاهدات، انطباعات (الرياض، ١٣٩٠ / ١٩٧٠) ص، ١٦٧ ـ ١٦٨،

G.R. Hawting "The Origin of Jeddah and the Problem of al-Shuayba" Arabica, Vol. XXXi (1948) PP. 318 ff.

(٧) ابن هشام، السيرة ، جـ١ ، ص، ٣٣٥، ٣٢٨ وما بعدها.

(٨) المصدر نفسه.

(٩) ابن هشام، السيرة ، جـ١ ، ص، ٣٣٦، الطبرى، تاريخ، جـ٢، ص، ٣٢٨ وما بعدها.

(١٠) ويذكر أن سبب اختيار الرسول (صلى الله عليه وسلم) لعمرو بن أميه الضمرى، لأن يكون الرسول إلى النجاشي، لأنه من قبيلة بنى ضمرة التي سبق وإن أشرنا إليها، وذكرنا أن النجاشي تربى وعاش بين أفرادها فترة من الزمن، ولهذا فقد يشعر بالتعاطف والتعاون مع المسلمين المهاجرين إلى بلاده. انظر محمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ط٥ (بيروت، دار النفائس، ١٤٠٥/١٩٨٥) ص، ٩٩، عبد الشافي غنيم عبد القادر «البحر الأحمر طريقاً للدعوة الإسلامية» البحر الأحمر في التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة، أبحاث الأسبوع العلمي ١٠ ـ ١٥ مارس ١٩٧٩م (القاهرة، ١٩٨٠م) ص، ٧٨.

(١١) محمد حميد الله، الوثائق، ص، ٩٩.

(١٢) نفس المرجع ، ص، ١٠٠ ـ ١٠٥ انظر أيضاً صفى الرحمن المباركفورى، الرحيق المختوم، ط٢ (بيروت، ١٤٠٨/ ١٩٨٨م) ص، ٣٣٦ وما بعدها.

(١٣) وصلح الحديبية عبارة عن هدنة عقدت في السنة السادسة الهجرية مابين المسلمين وقريش ولمدة عشر سنوات، فكانت الفرصة للرسول (صلى الله عليه وسلم) أن يكاتب ملوك الأرض أمثال النجاشي ودعوتهم لدخول الإسلام انظر أكثر عن هذا الصلح وعن مكاتبة الرسول لملوك ذلك الزمن في، الرحيق المختوم للمباركفورى، ص، ٣٣٥ ـ ٣٤٧.

(١٤) محمد حميد الله ، الوثائق، ص ١٠٤.

(١٥) كانت (رضى الله عنها) مع من هاجر إلى الحبشة، وبصحبة زوجها عبد الله بن جحش الذي ارتد عن الإسلام إلى النصرانية، فبقيت أم حبيبة على دين الإسلام حتى تزوجها الرسول (صلى الله عليه وسلم) وكانت سنة وفاتها في ٤٤هـ/ انظر ترجمة لها في كتاب ابن سعد، الطبقات الكبرى (بيروت، ١٤٠٠/ ١٩٨٠م) جـ٨، ص، ٩٦ ـ ١٠٠.

(١٦) محمد حميد الله، الوثائق، ص، ١٠٦ ويورد ابن سيد الناس أن النجاشي اصدق عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى أم حبيبة تسعمائة دينار.انظر عيون الأثر في فنون المغازى وشمائل السير، تحقيق دار احياء التراث العربي، ط٣ (بيروت، ١٤٠٢/ ١٩٨٢م) جـ١، ص، ١٤٩.

(١٧) محمد حميد الله، ص، ١٠٦ ـ ١٠٧

(١٨) انظر كيف تأثر الرسول (صلى الله عليه وسلم) عندما سمع بموت نجاشي الحبشة، ابن هشام السيرة، جـ١، ص، ٣٤١، فتح الباري، جـ٧، ص، ١٨٨، ١٩١.

(١٩) القرصنة، قراصنة، Piracy, Pirates

سلاح شهرته الدول البحرية ضد سفن أعدائها، وقد استخدمته الدول الإسلامية وغير الإسلامية، فكانت هذه الدول تمنح رجال البحر تراخيص لمهاجمة سفن الأعداء، وبذلك يضيفون قوة إلى أساطيل دولهم. غير أن في كثير من الحالات كانت الدول لا تستطيع السيطرة على هؤلاء الأفراد الذين يعملون لحسابهم

الخاص، ويكونون عصابات بحرية أشبه بعصابات البر.

وكانت الغنيمة تدفعهم إلى عدم الالتزام بارتباطات حكوماتهم فيهاجمون سفن الأعداء والاصدقاء على حد سواء. انظر أحمد عزه عبد الكريم، دراسات في تاريخ العرب الحديث (بيروت، ١٧٩٠) ص، ٢٨٩ - ٢٩٠

Robert Johen. History of the French Colonial Policy (1871- 1925) (London, 1929).

(٢٠) محمد بن عمر الواقدى، كتاب المغازي، تحقيق مارسدن جونس، ط٣ (بيروت، ١٤٠٤/ ١٩٨٤م) ص، ٩٨٣ - ٩٨٤، ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، جـ٨، ص، ٥٨ - ٥٩، المباركفورى، الرحيق ص، ٤١٠.

(٢١) انظر محمد بن اسحاق الفاكهي، كتاب المنتقي في أخبار أم القرى، نشره وستنفلد جـ٢، ص، ٤٤، يوسف فضل حسن، دراسات في تاريخ السودان (جامعة الخرطوم، ١٩٧٥م) جـ١، ص، ٣

J. Spencer Trimingham, Islam in Ethiopia, 3rd. ed. (London, 1976) P.46.

ومن يتبع العلاقات بين الحبشة والحجاز، يجد أن الأغارات من قبل قراصنة الأحباش تكررت خلال حكم الدولة الأموية والدولة العباسية، ولكن خلفاء الإسلام في تلك العصور كانوا دائماً على أهبة الاستعداد لرد ومحاربة تلك الغارات، انظر أمثلة من غارات الأحباش في تلك العصور، محمد بن ظهيره القرشي، الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف (القاهرة، ١٣٥٧/ ١٩٣٨م) ص، ٨١، عبد القدوس الأنصارى، موسوعة تاريخ مدينة جدة، ط٣ (القاهرة، ١٤٠٢/ ١٩٨٢م) ص، ٥٧، عبد الشافي غنيم «البحر الأحمر» ص٢٠٨ وما بعدها.

(٢٢) انظر مقالة السر أحمد العراقي «الإسلام ومراكز الثقافة الإسلامية في اثيوبيا والصومال» ندوة العلماء الأفارقة ومساهمتهم في الحضارة العربية الإسلامية، الخرطوم ٢٨/ ٣٠ يوليو / تموز ١٩٨٣م بغداد، ١٤٠٥/ ١٩٨٥م) ص، ١٦٤ - ١٦٥، عبد الشافي غنيم «البحر الأحمر».

ص، ٨٠ - ٨٥.

(٢٣) ابن حبيب، المنمق، ص، ٣٢ وكذلك انظر في المراجع التالية نشاط تجارة الأحباش في أسواق الحجاز، جواد على، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط٢ (بغداد) ١٩٧٧) جـ٧، ص، ٣٠١ - ٣٠٢، عبد الحميد العبادى «أحابيش قريش هل كانوا عرباً أو حبشاً» مجلة كلية الآداب، الجامعة المصرية، ١٩٣٣م، جـ١، ص، ١٠١ - ١٠٢،

Patricia Crone, Meccan Trade and the Rise of Islam :Oxford, 1987) PP. 124 ff.

(٢٤) وهم هاشم، وعبد شمس، والمطلب، ونوفل، انظر تفصيلا أكثر عنهم في ابن حبيب، المنمق، ص، ٢٠ - ٢٢، ٤١ وما بعدها.

(٢٥) انظر ابن حبيب، المنمق، ص، ٣٢، ٤٠٠ - ٤٠٢، جواد على، المفصل، جـ ٧، ص، ٣٢.

M. J. Kister "Some Reports Concerning Mecca from fJahiliyya to Islam" Studies in Jahiliyya and Early Islam (London, 1980) P. 61, P. Crone, Meccan, P. 127- 128.

(٢٦) ميناء الشعيبة وجدة كانا يتبعان مكة وأسواقهما لقربهما منها، أما ميناء الجار فهو أيضاً مثل ميناء الشعيبة وجدة

يقع على ساحل البحر الأحمر الشرقي، ويبعد عن المدينة بحوالى مائة وستون كيلا، وكان الميناء الرئيسى للمدينة المنورة قبلا الإسلام وخلال الثلاثة قرون الأولى منه، وقد تغير أسمه في العصر الحديث إلى مكان يسمى البريكة، انظر الجاسر، في شمال غرب، ص، ١٩٠ - ١٩١ وكذلك رسالة الدكتوراه لكاتب هذا البحث والتي بعنوان.

The Social, Industrial and Commereial History of the Hejaz under the Early Abbasids 132 - 232/749 - 847 Ph. D. Thesis, Univ. of Manchester, 1989, PP. 194 - 200.

(٢٧) انظر تفصيل أكثر Ibid,. PP. 186 - 187, 197, 194 ff. للمؤلف مقال «بعنوان» الطرق التجارية البرية والبحرية المؤدية إلى الحجاز خلال القرون الإسلامية المبكرة (البحث تحت النشر بمجلة كلية الآداب، بجامعة أم درمان الإسلامية، العدد الثالث).

(٢٨) انظر تفصيلا أكثر حول الصلات بين المسلمين وأرض الأحباش في الطبرى، تاريخ، جـ٢، ص، ٣٢٩، محمد بن فهد، اتحاف الورى في أخبار أم القرى، تحقيق فهيم محمود شلتوت (القاهرة، ١٣٧٥هـ) جـ١، ص، ٢١٤ - ٢١٥، جواد على، المفصل، جـ٧، ص، ٢٥٩.

(٢٩) انظر تفصيلاً أكثر عن نشاط ميناء الجار.

حمد الجاسر «حول الجار ولشعيبه» مجلة العرب، الرياض ١٣٩٠/١٩٧٠م، جـ١٢ ص ١١٧٠ - ١١٧٢

The Social, PP. 194 ff.

(٣٠) أحمد بن واضح اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، تحقيق، هوتسمان (لندن، ١٨٨٣) جـ٢، ص، ١٧٧، أحمد بن يحيى البلاذرى، فتوح البلدان، تحقيق صلاح الدين المنجد (القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، سنة النشر بدون) ص، ١٥٣، ٧٠٣، عرام السلمى، كتاب أسماء جبال تهامة وسكانها، تحقيق عبد السلام هارون (القاهرة، ١٣٧٤/١٩٥٥م) ص، ٣٩٨ - ٣٩٩.

(٣١) انظر أبو الفداء ابن كثير، البداية والنهاية، تحقيق أحمد أبو ملحم وآخرين (بيروت، ١٤٠٥/١٩٨٥م) جـ٢، ص، ٧٠ - ٧١.

(٣٢) انظر ابن حبيب، المنمق، ص، ٤٠٠ - ٤٠١، عبد الحميد العبادى «احابيش قريش» ص، ١٠١ وما بعدها، جواد على المفصل، جـ٧، ص، ٥٠٥ وما بعدها

F. Crone, Meccan, PP. 106, 124 ff.

(٣٣) ابن حبيب، المنمق، ص، ٤١٧.

(٣٤) انظر تفصيلات أكثر في البلاذرى، انساب الاشراف، تحقيق محمد حميد الله (القاهرة، تاريخ النشر بدون) جـ١، ص، ١٨٨، ابن عبد ربه، العقد الفريد، تحقيق أحمد أمين وآخرين (بيروت، ١٤٠٣ / ١٩٨٣م) جـ١، ص، ٢٧٤، محمد حميد الله، الوثائق، ص، ١٠٦.

(٣٥) الطبرى، تاريخ، جـ٢، ص، ٣٤٣ انظر تفصيلا أكثر في كتابى.

M. Kister "Some Keports" PP. 61 ff; P. Crone, Meccan, PP. 124 - 129.

(٣٦) انظر معلومات أكثر عن الصادرات والسلع التي تروج في أسواق الحجاز، أبو عثمان الجاحظ، التبصر بالتجارة، تحقيق حسن حسنى عبد الوهاب (بيروت، ١٩٦٦) ص، ٣٤ وما بعدها، شمس الدين

المقدسي، احسن التقاسم في معرفة الاقاليم تحقيق دى غوي (ليدن، ١٨٧٧م) ص، ٧٩، ٩٧ ادم متز الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجرى، ترجمة عبد الهادى أبوريده، ط٣ (القاهرة، ١٣٧٧/١٩٥٧م) جـ٢، ص، ٢٢٥، ٢٦١، أيضا انظر رسالة الدكتوراه لمؤلف هذه المقالة

The Social, PP. 202 - 216 Crone, Meccan, P. 150

(٣٧) الحلة مفرد حلل وهي تشبه الثوب وقد عرفها بعض اللغويين بأن اللباس الكامل يطلق عليه حلة، أما الجبة فهى ضرب من مقطعات الثياب تلبس مثلها مثل الثياب انظر معلومات أكثر في أبو منصور عبد الملك الثعالبى، كتاب فقه اللغة (بيروت، ١٩٧٣) ص، ١٥٦، أبو الفضل محمد بن منظور، لسان العرب، نسخة مصورة من طبعة بولاق، (القاهرة، ١٣٠٧هـ) جـ١، ص، ٢٤٢، صالح أحمد العلى «الألبسة العربية في القرن الأول الهجرى» مجلة المجمع العلمي العراقي، جـ١٣، ١٣٨٥هـ، ص، ٥٨ - ٥٩.

(٣٨) الجاحظ، التبصر، ص، ٣٤، أبو عبدالله محمد بن قتيبة، كتاب عيون الأخبار (القاهرة، ١٩٣م) جـ٣، ص، ٣٠٥،

Kister, "Some Report" PP. 60 f, Abdullah Alwi Haji Hassan "The Arabian Commercial Background in Pre-Islamic time" Islamic Culture, Vol. LXI-No.2 1987, PP. 78-9.

(٣٩) الجاحظ، التبصر، ص، ٣٤، ابن هشام، السيرة، جـ١، ص، ٣٣٤ - ٣٣٥، الطبرى، تاريخ، جـ٢، ص، ٣٣٥، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تحقيق نخبة من العلماء (بيروت، تاريخ النشر بدون) جـ٢، ص، ٥٤، جواد على، المفصل، ص، ٣٠٧، ٣١٥.

(٤٠) الجاحظ، التبصر، ص، ٣٤،

A. Alwi "The Arabian Copmmercial PP. 78-9.

(٤١) ان بلاد النوبة خلال فترة ظهور الإسلام، كانت تنقسم إلى مملكتين مملكة المغرة، وعاصمتها دنقلا ومملكة علوه في الجنوب وعاصمتها سوبا، انظر تفصيلا أكثر عن موقع وجغرافية بلاد النوبة في مصطفى محمد مسعد. الإسلام والنوبة في العصور الوسطى (القاهرة مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٠) ص ١ - ٢٢.

(٤٢) انظر المكاتبة بين الرسول (صلى الله عليه وسلم) وملك مصر المقوقس في كتاب محمد حميد الله، الوثائق، ص، ١٣٥ - ١٣٦، وقد كان رد المقوقس على كتاب الرسول (صلى الله عليه وسلم) كالتالى لمحمد بن عبد الله من المقوقس، سلام، أما بعد:-

فقد قرأت كتابك، وفهمت ماذكرت وما تدعو إليه، وقد علمت أن نبياً قد بقي... وقد أكرمت رسلك وبعثت إليك بجاريتين لهما مكان في القبط عظيم، وبكسوة، واهديت إليك بغلة لتركبها والسلام المرجع نفسه، ١٣٦.

(٤٣) انظر تفصيلات أوسع عن الفتوح الإسلامية في بلاد الشام ومصر في الطبرى، تاريخ، جـ٣، ص، ٥٩٨ وما بعدها، عبدالرحمن بن خلدون، تاريخ ابن خلدون (بيروت، دار العلم للجميع، سنة النشر بدون) جـ٢، ص، ٨٤ - ٩٠، ١١٤ - ١١٥، عبد الوهاب النجار، الخلفاء الراشدين، (بيروت، دار الفكر، سنة النشر بدون) ص، ٢٠٥ - ٢١٤.

(٤٤) البلاذرى، فتوح، ص، ٢٨٠ - ٢٨١، عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم، كتاب فتوح مصر وأخبارها (ليدن، بريل، ١٩٢٠م) ص، ١٧٣ - ١٧٤، ١٨٨.

(٤٥) ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص، ١٨٣، ١٨٨، البلاذرى، فتوح ص، ٢٨٠ - ٢٨١، مصطفى محمد مسعد، الإسلام والنوبة ص، ١١١ - ١١٣.

(٤٦) انظر نص تلك الاتفاقية كاملاً في كتاب محمد حميد الله، الوثائق، ص، ٥٣٠ - ٥٣١، ويذكر الدكتور يوسف فضل حسَن مادار حول معاهدة «البقط» من حديث، فيوضح أن اشتهارها بهذا الإسم في المصادر العربية، بل وبسبب تسميتها بالبقط، يعود إلى اهتمام المسلمين بالجوانب الاقتصادية، وبما كان يرسل من الرقيق من بلاد النوبة إلى بلاد المسلمين، ثم يورد تعليلاً آخر قائلاء وإنما كلمة البقط في الأساس لفظ لاتينى يسمى Pactum اشتهر في الامبراطورية البزنطية التي يسيطر المسلمون على أجزاء كبيرة منها ويعنى مجموعة الالتزامات المتبادلة وما يتبعها انظر يوسف فضل، دراسات، ص، ٢٧ وللمؤلف أيضاً «انتشار الإسلام في سودان وادى النيل» ندوة العلماء الأفارقة ومساهماتهم في الحضارة الإسلامية، الخرطوم، ٢٨/٣٠ يوليو/ تموز، ١٩٨٣م(بغداد، ١٤٠٥/١٩٨٥م) ص،٢٧ وما بعدها.

(٤٧) ابن عبد الحكم فتوح ، ص، ١٨٨ - ١٨٩، مصطفى مسعد، الإسلام والنوبة، ص، ١١٣.
وقد أورد البلاذرى حديثاً مجملاً لما كان يعطى المسلمون لأهل النوبة فذكر أنهم كانوا يرسلون لهم الأطعمة أمثال القمح والعدس وما شابهه على أن يرسل أهل النوبة الرقيق الذين أتفق عليهم في تلك المعاهدة أنظر، فتوح البلدان، ص، ٢٨١.

(٤٨) السر العراقي «الإسلام ومراكز الثقافة» ص، ١٥٩ وما بعدها، يوسف فضل «انتشار . .» ص، ٢٥ وما بعدها ، عبد الشافى غنيم، البحر الأحمر. . ، ص، ٧١ وما بعدها.

(٤٩) انظر عبد الله بن عبد العزيز، الممالك والمسالك (مخطوط المتحف البريطانى لندن) ص، ١٠ب، يوسف فضل، دراسات، ص،٢٩.

(٥٠) الطبرى، تاريخ، جـ٤، ٢٥، ٣٨ يوسف فضل، دراسات ص، ٢٩ ويذكر أنه الخليفة عمر بن الخطاب الذى نفاه إلى سواحل بلاد النوبة على البحر الأحمر.

(٥١) الإسلام والنوبة ، ص، ١١٨ وما بعدها.

(٥٢) «أرض الزنج الإسلامية في العصور الوسطى» مجلة كلية الآداب بجامعة أم درمان الإسلامية، العدد الثاني، ١٤٠٥/١٩٨٤م ص، ١٥٩ وما بعدها.

(٥٣) جواد على، المفصل، جـ٧، ص، ٣١٥، يوسف فضل، دراسات، ص، ٢٧،
Abdullah Alwi "The Arabian" PP. 78 - 79

(٥٤) انظر اليعقوبى، تاريخ اليعقوبي، طبعة بيروت ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م ص ١٩١، أبو عبد الله البكري، معجم ما استعجم من الأسماء والبلاد والمواضيع، تحقيق مصطفى السقا (بيروت، ١٩٤٥/٣٦٤م) جـ١، ص، ٣٥٥ - ٣٥٦.

A. Alwi "The Arabian" PP. 79 ff.